القنصل الفرنسي ومخاوفه من (حصان طروادة الإنجليزي)

ولا يفكر برناردينو دروفيتي القنصل الفرنسي بالإسكندرية إلا في مصالح فرنسا بالطبع وسط كل هذه الأحداث، فيقلق من كل تقارب يتم بين الألفي (حصان طروادة الإنجليزي) ومحمد علي محبوب الجماهير، ويتساءل أيضًا عن موقف الباب العالي من التعيين المفاجئ لمحمد علي، فيكتب رسالة إلى تاجر فرنسي بالقاهرة على علاقة بمحمد علي وبعض بكوات المماليك، وهو من أهم مصادر الأخبار للقنصل، ويُدعى فيليكس مونجان، **ويقول القنصل لمونجان في رسالته**:

(هذا هو الوقت الذي يلزمكم التحلي فيه بالمهارة والحذر لتقفوا بين الطرفين دون أن تصدموا أيا منهما، ويُشاع هنا بالإسكندرية أن الألفي بك متفق مع محمد علي وأنه سيدخل القاهرة قريبًا، إن لم يكن قد دخلها فعلًا، ويتعين عليك مقابلة محمد علي وجره لشرح هذا الأمر، فإذا لاحظت أن محمد علي عازم على الرفع من قيمة الألفي، ابذل كل جهدك لجعله يتراجع عن هذا الأمر، أشعره أنه إذا رفع البكوات سيُذهِب حظوته لدى الباب العالي، في حين يمكن أن يحفظ علاقته معه بذكاء، مادام قد تسلم السلطة برضى الشعب، أفهمه أيضًا أن جيشًا فرنسيًا يمكنه أن يعود إلى مصر، وأن البك صديق الإنجليز ومن يحمونه لن يعرفوا أوقاتًا سعيدة، وأعلمه أن

صاحب الجلالة، إمبراطورنا، على علم بإخلاصه وتفانيه للأمة الفرنسية، وأنه من اللائق له أن يلتزم بكل التصريحات التي أدلى بها سلفًا أمام المفوض العام. لابد أنك أدركت أننا انتصرنا حين نهزم الألفي، وقد ينتصر الإنجليز الآن إذا ما قبل الألفي المشاركة في السلطة العليا، وسيكسبون في مصر نفوذًا سيضر بنا.)

وتوالت رسائل القنصل لرجاله المقربين في القاهرة من التجار الفرنسيين وغيرهم الذين على علاقة بمحمد علي ليحذرهم من وصول الألفي للسلطة، ويتمنى معرفة خطة محمد علي من خلالهم ليتصرف على أساسها. ويلتقي بالفعل مونجان بمحمد علي دون أن يشعر به أحد، ويتحدث معه عن كل مخاوف القنصل، ويحاول أن يصل لمعرفة ما يفكر فيه، ولكن هيهات لأحد أن يراوغ الباشا وأن يعرف ما في دخيلة نفسه.

ولقد حضر لاظ اللقاء بالطبع، واستمتع بأداء الباشا الذي تحدث إلى مونجان كثيرًا دون أن يقول شيئًا، إنه ذلك النوع من الحديث الذي يتقنه رجال الدبلوماسية المهرة الذين يتكلمون كلامًا كثيرًا دون أن يصل أي معنى مفهوم وواضح لمن يستمع إليهم.

يرسل مونجان رسالة إلى القنصل بنتيجة لقاءه بمحمد علي، ويرد القنصل، وهكذا دواليك، ويحافظ محمد علي على علاقته بجميع الأطراف دون أن يزعج الباب العالي، ويتابع ضغط السيد عمر مكرم على خورشيد باشا ويتحكم في مستوى الضغط، حتى لا يصل لمستوى يُغضب السلطان، فهو ينتظر في شغف رد السلطان على رسائل العلماء، ويعرف جيدًا أن السلطان يتابع ما يحدث، ويرسل من يأتي له بالأخبار.